لماذا وقعت حرب الخليج؟

بيار سالينجر واريك لوران، حرب الخليج: الملف السرّي (مترجم الى العربية)، باريس: أوليفيه أوربان، توزيع دار آزال للتوزيع والنشر، بيروت، شباط (فبراير) ١٩٩١، ٢٧٣ صفحة.

يتوزّع كتاب «حرب الخليج: الملف السرّي» لمؤلفيه بيار سالينجر وأريك لوران على ثمانية فصول، هي: المعطيات الاولى؛ الدور الغربي؛ التردّد والحيرة؛ غلاسبي تستمع؛ الغزو؛ الصدمة؛ وراء الكواليس؛ تجييش الحلفاء؛ اضافة الى خاتمة وملحق وثائقي يضمّ وثيقتين: الاولى، رسالة مدير الأمن الوطني الكويتي الى وزير داخلية الكويت حول تنظيم التعاون بين ادارة الأمن الكويتية ووكالة الاستخبارات الاميركية؛ والثانية، لائحة بالشركات الغربية التي ساهمت في تسليح العراق خلال عقد الثمانينات حتى عشية أزمة الخليج. وقد أُصدر الكتاب بالفرنسية، وتُرجم الى العربية؛ والترجمة هي النسخة التي اعتمدناها في عرض مادة الكتاب.

ومن عناوين فصول الكتاب، وطريقة العرض للمعلومات التي يحتويها، يتّخذ هذا الجهد شكل تحقيق صحافي، على الرغم من اعتماده على الوثائق التي لا يورد الكاتبان كيفية الحصول عليها ولا على مصادرها، حيث ترتسم أمام القارىء علامات استفهام كثيرة حول تلك «الحرب الملتبسة» التي وقعت في منطقة الخليج. وتقتصر مادة الكتاب على الفترة الممتدة بين مقدّمات الأزمة حتى عشية بدء الحرب تقريباً، وتحديداً تاريخ اتخاذ قرار مجلس الأمن الدولي الرقم ٦٧٨ الذي يخوّل استخدام القوة ضد العراق، اذا لم ينسحب من الكويت.

ففي مدخل الكتاب، حول مقدّمات غزو العراق للكويت، أو ما سمّاه الكاتبان «المعطيات الأولى»، رأيا ان نهاية الحرب العراقية ـ الايرانية هي بداية أزمة الخليج، وردّا ذلك الى الوضع الاقتصادي للعراق في نهاية الحرب: «وضعت الحرب الايرانية ـ العراقية أوزارها في الثامن من آب [اغسطس] العام ١٩٨٨، دون ان يكون بامكان احد التنبؤ بأن هذا التاريخ سوف يشكّل، أيضاً، بداية لأزمة الخليج... ففي بداية الحرب، كان العراق يملك ٣٠ ملياراً احتياطياً من الدولارات. ولم تكد سنوات الحرب الثماني تمضي، حتى تجاوزت ديون العراق مئة مليار دولار. ولهذا السبب، لم يترك [الرئيس] صدام حسين مناسبة واحدة الّا واغتنمها، ليقوم بابلاغ جميع الزائرين الأجانب الذين كان يستقبلهم... انه لعب دور 'الدرع العراقي للأخوة العرب في مواجهة الخطر الفارسي'، وانه يتوقّع من 'الأثرياء بينهم، وعلى الأخص المملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة والكويت، العون والمساعدة في تسديد كامل ديوننا'» (ص ٧ ـ ٨). وأفاد الكاتبان بأن العواصم الغربية الرئيسة تداولت «تقريراً سرياً حول الوضع الاقتصادي العراقي، قام بانجازه احد رجال المال النافذين في الشرق الاوسط... ويلقي التقرير، أيضاً، الأضواء على ظاهرة مثيرة للدهشة: [في] العام ١٩٨٩، كان العراق المستفيد الأول من مساعدات 'برنامج القروض الميسّرة الاميركية' الذي ينشط لبيع المنتجات الزراعية الاميركية في الخارج. امّا الفقرة الاخيرة من التقرير، فهي الأكثر أهمية، لأنها تتوقّع مآل الأمور بوضوح يثير الاعجاب: 'ان صدام حسين يعرف دقائق وضعه النقدي؛ فما هي الخيارات المطروحة أمام العراق وأمامه؟ انها خيارات محدودة. والكويت موجود دائماً على [بعد] كيلومترات قليلة من تجمّعات جيشه المتعطّل عند شط العرب. ان العراق بحاجة الى منفذ على مياه الخليج المفتوحة'» (ص ١٦ ـ ١٧). ورأى الكاتبان ان أوضاع دول المنطقة تسمح لبعضها البعض بتجاوز الحدود المرسومة فيما بينها، أو بالغاء تلك الحدود؛ فـ «في هذه المنطقة من العالم، حيث الحدود بين الدول